الأديب العربي ومكافحة الصهيونية في الخارج

بقلم الدكتور محمود ابراهيم

هذا الحديث المتواضع الذي اتقدم به لمؤتمركم الكريم ، هو في الواقع شطر من موضوع أشمل ، يفترض أن يتناوله الوفد الاردني ، مع بعض الوفود الشقيقة ، ألا وهو « دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية » . وقد اتفقت مع زميلي الكريم في الوفد الاردني،الدكتور هاشم ياغي ، على أن نتشاطر هذا الموضوع ، بحيث يتناول الزميل الكريم دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية داخل نطاق الوطن العربي الكبير ، في حين أحاول من جهتي أن أتناول هذا الدور خارج نطاق الوطن العربي .

وقد طمحت في الواقع الى الاستفادة من خبرة عملية لي بالحياة الغربية لم تتنه الا منذ ما يقل عن ثلاث سنوات فقط .

ومن باب الامانة للحقيقة ، ان اقرر بين يدي كلمتي هذه امرين لا ينبغي اغفالهما . واول هذين الامرين هو الاعتراف بأن الذي يجري عمليا على مسرح الاحداث في الوطن العربي ، وعلى ارض فلسطين بالذات ، له من الاثر الفعلي في العالم الخارجي ، اكثر مما لاي شكل اخر من أشكال النشاط يمكن ان يضطلع به دبلوماسي او صحافي او اديب . وثاني الامرين ، ان العالم الغربي بالذات ، مهيأ اصلا لان يقف موقف العداء من العرب : وهذا الامر لم يؤكده اتصالي المباشر بفئات من الغربيين فحسب ، بل وما كتبه كذلك عدد من رجال الرأي والفكر الغربي كما يتضح على سبيل المثال ، مما كتبه البروفسور « ولفرد كانتول سمث » احد اساتذة جامعة هارفرد الاميركية ، الذي كشف عن هذا الموقف بامانة وصراحة ، وعلله بطائفة من الاسباب التاريخية والثقافية والحضارية والعقدية ، في حين اشار من الناحية الثانية الى طائفة من الروابط الحضارية والثقافية والاجتماعية ، التي تجمع ما بين الغرب واليهود ، وهي روابط قد جعلت الغرب اكثر موالاة للصهيونية واشد مناواة للعرب .

على أن كلا الامرين اللذين اشرت اليهما ، وان كان الالمام بهما ضروريا ، ينبغي الا يحولا ابدا دون مساهمة جادة من الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج الوطن العربي عامة ، وفي العالم الغربي بالذات . فالمعركة ما بين الامة العربية والصهيونية ، معركة طويلة شاملة ، تستدعي استقطاب الطاقات العربية في كل مجال من المجالات، وتتطلب من ابناء العرب ، كل ضمن اختصاصه ، ان يشارك في مكافحة هذه الحركة الشريرة اللاانسانية .

ثم انه ينبغي ان نتذكر ، ان العالم الخارجي ، ليس مقتصرا على العالم الغربي فقط ، وان ثورة المواصلات العالمية في السنوات الاخيرة ، قد صغرت هذا العالم ، وجعلته كلا مترابطا بشكل لم تعرفه الانسانية من قبل . وهذا يجعل من المستحيل ، ان تعزل قضية شعب من الشعوب عن بقية شعوب العالم .

ولا بد ان ناخذ بعين الاعتبار ، حين نخطط لمكافحة الصهيونية في العالم الخارجي ، ان هذا العالم لا يخضع في السبل التي ينتهجها لمؤثرات واحدة ، ولذا فانه لا يتخذ من قضايا الشعوب موقفا موحدا . ويترتب على ذلك الا تسير مكافحتنا للصهيونية في دول العالم الخارجي على نسق واحد .

وليس القصد من اختلاف نسق الكفاح ، ان نعالج قضية فلسطين بالتلون والنفاق ، حين نعرضها على الاخرين ، كما تفعل الصهيونية اذ تعرض قضيتها في اجواء مختلفة بصور مختلفة تصل احيانا الى حد التناقض ، وانما القصد ان نعرض قضيتنا للعالم من جوانبها المختلفة ، عرضا صادقا امينا ، على أن يجري التركيز على جانب معين اكثر من جانب اخر ، عندما يكون ذلك الجانب المعين اشد اتصالا باهتمامات الجهة التي تعرض عليها القضية . وما من شك في اننا سنجد في جميع الاحوال من الصدق والحق ما يغنينا عن التزييف والتزوير .

واذا جاز لي ان اتناول بالاستعراض السريع اللماح انواع المجموعات البشرية التي يمكن ان نحاورها حول قضيتنا الفلسطينية ، فقد يمكن وضع هذه المجموعات في اطارات اربعة كبرى على النحو التالي :

أ ـ الدول الاسلامية .
ب ـ دول عدم الانحياز .
ج ـ الكتلة الشرقية .
د ـ الكتلة الغربية .

واذا ما اخذنا بهذا التقسيم بملامحه العريضة ، فلا بد ان نتبين مجموعة من المعالم الكبرى التي ينبغي أن نسترشد بها في الحوار مع كل من هذه المجموعات الاربع .

فمن نافلة القول ان الحوار مع الشعوب الاسلامية ، هو اقرب الحوارات تناولا ، لما بين الامة العربية والشعوب الاسلامية من منطلقات مشتركة في عالم العقيدة والتراث الفكري والثقافي والحضاري.وهذا يجعل من السهل على الاديب العربي الذي يعمل في المجال الاسلامي ، ان يصور الحركة الصهيونية كما هي بالفعل ، على انها اعتداء مباشر على المسلمين أينما كانوا ، مذ كانت غزوا سافرا لديار الاسلام،وانتهاكا لحرماته ومقدساته ، فضلا عن كونها تهديدا خطيرا لقيم الحضارة الاسلامية في بقعة من الارض ، لها مكانتها الخاصة في نفوس المسلمين .

غير أن ما بين الامة العربية والشعوب الاسلامية من المنطلقات المشتركة لا يعني ابدا أن جميع تلك الشعوب وحكوماتها تتفهم القضية العربية وتدرك حقيقة الصهيونية ، على مستوى لا يبقى بعده حاجة لمزيد من التوعية . فلا مراء في ان درجة التفهم والادراك للقضية الفلسطينية ، تختلف من شعب اسلامي الى آخر ، ونتيجة لذلك ، فان الدعم الاسلامي للعرب يتراوح ما بين المساندة الايجابية الفعالة،ومجرد التعاطف الصادر عن فئات معينة من مواطني تلك الدول .

ومن البديهيات أن خطورة معركتنا مع الصهيونية وطبيعة ارتباطها بالعالم الاسلامي ، تقتضيان من الاديب العربي الذي يعمل في المجال الاسلامي ، ان يستفيد الى اقصى مدى ممكن من روابط الامة العربية بالشعوب الاسلامية ، لكي يصبح التأييد الاسلامي لنا في كل الدول الاسلامية تأييدا ايجابيا فعالا .

اما الحوار مع المجموعة الثانية في تقسيمنا الآنف الذكر ، فهو حوار مع دول عدم الانحياز . وهذه بدورها تشترك معنا في عدد من الاتجاهات المناوئة للصهيونية .

فمن ناحية ، ينبغي ان نذكر ان الحركة الصهيونية ، هي حركة ما فتئت تنحاز انحيازا انتهازيا منذ مولدها في اواخر القرن التاسع عشر ، الى دولة كبرى بعد اخرى . ولما كانت الدولة الصهيونية التي تمخضت عنها تلك الحركة منحازة حاليا انحيازا سافرا الى دولة غربية كبرى ، فان بوسع الاديب العربي ان يصور الصهيونية لشعوب عدم الانحياز ، وهو صادق ، على انها حركة منحازة انحيازا بارزا الى الكتلة الغربية ، وهي بالتالي ناشزة نشوزا صريحا عن المبدأ الرئيسي الذي يجمع ما بين دول عدم الانحياز .

ثم ان هناك صورة اخرى للصهيونية ، تشاركنا دول عدم الانحياز في مقاومتها والنفور منها ، الا وهي صورة نفر من الغرباء الوافدين من خارج المنطقة للسيطرة على اهلها الاصليين ، بل ولانتزاع وطنهم منهم وطردهم من هذا الوطن كلية ، وتلك صورة غير محببة دونما شك لدى دول عدم الانحياز ، وخاصة لدى المجموعة الافريقية منها .

وهناك ذلك الطابع العنصري الديني التعصبي المتطرف ، الذي تتسم به دولة اسرائيل ، والذي يدفعها الى ان تتصرف مع غير اليهود على نحو من التمييز ، يتضاءل امامه التمييز العنصري المقيت في روديسيا وجنوب افريقيا .

وهنالك بالطبع تلك الصورة الاستعمارية الشرسة للصهيونية التي لا تروق لدول عدم الانحياز . والاستعمار الصهيوني كما اشرنا لا يقتصر على الصبغة الاستعمارية التقليدية ، بل يتجاوزها الى عملية توطين اخلاط من الناس المستوردين في بلاد آهلة بسكانها ، بعد سلب الارض من هؤلاء السكان والالقاء بهم خارج حدود وطنهم بلا وازع او ضمير .

ولا يخفى ما يترتب على هذه المظالم كلها من طمس المعالم القومية في حياة شعب له مقومات حياته الخاصة به . وهذا الشكل من طمس الملامح القومية لشعب من الشعوب ، تمجه دول العالم كله ، وتمقته دول عدم الانحياز بصورة خاصة ، حيث ان عددا كبيرا منها قريب عهد باستعمار اجنبي ، حاول ان يغير صبغة شعوبها القومية .

واذا ما انتقلنا الى المجموعة الثالثة ، وهي مجموعة الدول الاشتراكية ، فاننا نجد مجالا ها هنا كذلك للقاء مشتركة فيما بيننا وبينها في مكافحة الصهيونية . وبالرغم من ان بعض جوانب هذه اللقاء المشتركة ، يدخل في عناصر ورد ذكرها آنفا ، الا ان هناك عناصر اخرى يمكن اضافتها الى ما سبق .

ومن هذه العناصر ، ان الصهيونية في حقيقتها ، وفي المفهوم الاشتراكي على السواء ، حركة يمينية رجعية متطرفة ، تقوم على اسس من التعصب العنصري والديني العنيف ، الذي لا يتسق مع النظرة الاشتراكية في فهمها لاسس تكون الدول .

كما ان الصهيونية تخالف الاشتراكية في غلبة الطابع الراسمالي على روادها ، ثم على الدولة التي تمخضت عنها ، برغم مجموعة من المظاهر الاشتراكية الخادعة ، التي تحاول الصهيونية ان تموه بها على المعسكر الاشتراكي والاحزاب الاشتراكية في مختلف انحاء العالم . وان ارتباط اسرائيل باميركا ، اكبر دولة رأسمالية ، وبشركات الاحتكار الغربية الكبرى ، لهو دليل لا يخطىء على صبغة الصهيونية الرأسمالية. كما ان الصورة التاريخية للمرابي اليهودي الجشع ، تمثل ابشع اشكال رأس المال في اذهان شعوب الشرق والغرب على السواء .

ثم ان اسرائيل في المفهوم الاشتراكي ، قاعدة اجنبية للاستعمار الغربي في الشرق الاوسط . وقد لا نؤمن نحن العرب ، او الكثيرون منا على الاقل ، بان اسرائيل هي مجرد قاعدة للاستعمار ، يقتصر دورها على التلقي السالب من المستعمرين والعمل لحسابهم ، دون ان تكون لها مخططاتها الشريرة الخاصة بها . ولكن ذلك ينبغي الا يحول اطلاقا دون الاستفادة من هذه النظرة الاشتراكية الى اسرائيل ، خاصة وانها نظرة لا تخلو من شيء من الصحة على الاقل . وغني عن البيان انها نظرة تحفز الدول الاشتراكية الى مقاومة الصهيونية ، انطلاقا من موقف المقاومة التقليدي ، الذي تقفه هذه الدول من الاستعمار الغربي وقواعده في البلاد الاخرى .

واذ ننتقل اخيرا الى المجموعة الرابعة ـ الكتلة الغربية ـ فاننا ننتقل الى اصعب مجالات العمل العربي ضد الصهيونية ، حيث نواجه هنا مصدر التاييد الفعال للصهيونية واسرائيل .

ولعل تلمسنا لسر قوة الصهيونية في الدول الغربية ، يساعد على تلمس الطريق لمقاومتها في تلك الدول ، حتى وان كان طريقا وعرا غير ممهد . وقد يكون من المفيد هنا ان اشير الى شذرات مما كتبه البروفسور الاميركي « ولفرد سميث » في هذا الصدد ، اذ يقرر هذا الاستاذ الاميركي انه ليس من العسير على المرء ان يتبين السبب في اتجاه عواطف الغرب الى اليهود ، فيما أسماه بالازمة الصهيونية«وذلك لان التراث الحضاري اليهودي كما ذكر ، قد تمازج عبر ما يزيد عن الف من السنين مع التراث الحضاري الغربي ، في حين ان الغرب لا يتعاطف مع العرب ، لان القضية العربية كان عليها ان تصارع مخلفات صراع موروث ما بين العرب والغرب عبر ثلاثة عشر قرنا .

وبالاضافة الى ذلك فان هناك في الوقت الحاضر ، تلك الجاليات اليهودية القوية الاثر في الدول الغربية . وكل من احتك من الزملاء الكرام احتكاكا عمليا بالمجتمعات الاوروبية ، لا بد ان يتبين تغلغلا صهيونيا ذا ثلاث شعب في تلك المجتمعات : في الاقتصاد والاعلام ومراكز الفكر .

ولسنا بحاجة الى تاكيد اهمية هذا التغلغل في حياة مجتمع رأسمالي صناعي متقدم في ميدان العلم والتكنولوجيا . ولقد استغلت الصهيونية نفوذها في هذه آليادين الى درجة مذهلة ، كما هو شأنها في التصرف الذكي الماهر بكل ورقة رابحة في يدها . ومع الاعتراف بهذا التغلغل الصهيوني الشديد واثره في المجتمعات الغربية ، فان في وسع الاديب العربي ان يجد ثغرات ينفذ منها لمكافحة هذا النفوذ الصهيوني. فهناك أولا تلك الرسوب الكامنة في أعماق الضمير الاوروبي فيما يتعلق بالطبع اليهودي ، الذي مثله شكسبير تمثيلا عبقريا في شخصية شيلوك .

وفي لغة المصالح والمنافع التي يفهمها المجتمع الغربي حق الفهم، يمكن للانسان العربي ان يدرك ، ان هناك في احد الجانبين ، عالما عربيا مترامي الاطراف ، يتحكم في اخطر المعابر العالمية ، ويحتضن امكانيات هائلة في حقل التبادل الاقتصادي ، بينما تقوم في الجانب الاخر بقعة صغيرة سوداء ناشزة ، وسط محيط من الكره العميق ، وهذه البقعة المقتطعة من الشرق الاوسط ، ليست عاجزة عن ان توفر للغرب منافع اقتصادية فحسب ، بل هي في الواقع عبء اقتصادي مرهق على بعض دول الغرب ، فضلا عما تجلبه لهذه الدول من ضرر وحرج في علاقاتها الدولية .

وما زلت اذكر حديثا لي في لندن مع الكاتب اللندني « ارسكن تشلدرز » ، وهو يشدد على هذه الحقيقة ، ويلفت النظر اليها على الخريطة . وما زلت كذلك اذكر حديث زوجة سفير سابق لالمانيا في اندونيسيا ، وهي تقول في حفل عشاء في العاصمة الانجليزية ، موجهة حديثها الى جماعة من العرب ، « الا تتنبهون الى امكانياتكم في العالم العربي ؟ الا ترون ما يمكن لكم ان تنجزوه لو نسقتم اموركم وضممتم صفوفكم في هذه البقعة الحساسة من العالم ؟ » .

وهناك ذلك الخوف العميق في الشعوب الاوروبية من الحروب العالمية ، بعد ان اكتوت اوروبا بحربين عالميتين في خلال ربع قرن من الزمن ، وهو خوف يمكن لكتاب العرب وادبائهم ان يستغلوه على احسن وجه ، ان هم استطاعوا ان يبرزوا ما قد يترتب على مطامع الصهيونية من نشوب حرب عالمية جديدة لا تبقي ولا تذر ، خاصة وان هنالك الكثيرين ممن يؤمنون بالدور اليهودي الخالد في اثارة المنازعات والحروب بين الامم ، لاغراض انانية .

ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى الصبغة الفاشية التي اخذت تبرز بتصاعد مطرد في تصرفات اسرائيل ، وخاصة بعد الارتكاسة الاخيرة التي تعرض لها العرب . والغرب بصورة عامة ، ما يزال يذكر بكثير من المرارة ، ما جلبته الفاشية لاوروبا من الوان الشقاء . وهو يدرك بالطبع ، أن من اسباب مؤازرته لليهود ، شعور العطف عليهم بوصفهم من ضحايا النظم الفاشية في اوروبا . ولطالما استغلت الصهيونية هذا الشعور واججته عن طريق المبالغة في تقدير ما تعرض له اليهود على يد هذه النظم . فاذا ما استطاع الاديب العربي عرض الصورة الكالحة لاسرائيل باعتبار انها هي دولة فاشية ، فان من الممكن جدا أن يتحول شعور العطف الغربي على ضحايا الفاشية الى شعور نقمة على تلاميذ الفاشية الجدد .

ولا يفوتني ان اذكر كذلك ، أن بوسع الاديب العربي ان يستفيد من النزعة الانسانية في بعض من رجال الفكر الغربي ، وذلك بأن يصور المأساة الانسانية الرهيبة التي تسببت بها الصهيونية للشعب العربي في فلسطين . ولقد عبر عدد من رجال الفكر الغربي بالفعل عن شعور الاشمئزاز من هذا الدور الذي قامت به الصهيونية ، ومن هؤلاء الخبير يساورهم شعور بالذنب ، يعبرون عنه صراحة لكون بلدهم هو الذي مكن للصهيونية في فلسطين ، وبالتالي شارك في المأساة الانسانية التي تعرض لها الشعب العربي الفلسطيني .

ثم أن في الغرب عددا لا يستهان به من المؤرخين والادباء والمستشرقين الذين يفهون من الحضارة العربية الاسلامية موقف الاعجاب ، بعد أن درسوها دراسة متفهم متعمق . وهم لاعجابهم بهذه الحضارة والاسس التي بنيت عليها ، ينجهون تلقائيا الى العطف على القضية العربية ، ومن ثم الى عدم الارتياح للصهيونية . أفلا يمكن لادباء العرب ان يستفيدوا في مجال مكافحتهم للصهيونيه من موقف كهذا يقفه غربيون بارزون ؟ أقول ذلك ، وامامي عدد من النصوص التي كتبها بعض هؤلاء ، فيها اشادة بمجموعة من اسس الحضارة العربية الاسلامية ، ومنها نص للمؤرخ البريطاني الشهير « ارنولد توينبي » يفيض اعجابا بفكرة الاخاء الاسلامي التي تعصف بمفهوم التمييز العنصري .

تلك خطوط عامة غير متقصية ، يتجه اليها الذهن اذ يتصور المناخات المختلفة التي يمكن أن ينشط فيها الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج الوطن العربي .

وليسمح لي الاخوة الكرام بعد هذا العرض الملماح ، ان اشير بالايجاز الذي يتطلبه الموقف ، الى مجموعة من السبل التي يمكن للاديب العربي أن يسلكها انسانا مع الخطوط الآنفة الذكر . واول ما يخطر في الذهن ، أن يعمل أدباء العرب ضمن تخطيط شامل تتولاه هيئة مركزية لهم ، تساندها فروع لها في البلاد العربية ـ ان يعملوا على الاستعانة بالعناصر العربية الموجودة خارج الوطن العربي . وهذه العناصر يمكن أن تدخل بصورة رئيسية ضمن فئات ثلاث :

المهاجرين العرب الذين استقروا نهائيا في ارض غير عربية ،
العرب المقيمين موقتا في الخارج بحكم ارتباطات العمل ،
الطلاب العرب .

ويؤلف هؤلاء في مجموعهم وامكانياتهم طاقة ضخمة ، خاصة اذا استطاعوا ان يؤلفوا أولا ما بين جهودهم ثم ينسقوا هذه الجهود مع الوطن الام .

ومن نافلة القول ، أن اتصال هؤلاء المغتربين المباشر مع الشعوب التي يقيمون بين ظهرانيها ، يجعلهم اقدر الناس على تفهم عقليات تلك الشعوب ، ومن ثم مخاطبتها باللغة التي تفهمها . واذا كان الامر يستدعي تعاونا ما بين الاديب في الوطن العربي والمغتربين العرب عامة ، فان مثل هذا التعاون هو أمر لا بد منه مع ادباء المغتربين بصورة خاصة .

ولا اظنني بحاجة الى التذكير ها هنا بمدى استفادة اليهودي في اسرائيل من اليهود المنتشرين في بقاع الارض ، وما اسهم به ادباء اليهود في أوروبا واميركا في الترويج للفكرة الصهيونية .

وانني لاشهد عن تجربة ، أن هناك استعدادا عظيما لدى العرب المغتربين ولدى الطلاب منهم على وجه الخصوص ، لان يفعلوا الكثير من اجل وطنهم العربي . وكل ما ينقصهم هو تنسيق الجهود فيما بينهم ، ثم تنسيق هذه الجهود مع الهيئات المعنية في الوطن العربي .

وانه ليحضرني بهذه المناسبة عبارة ، سمعتها في لندن من المرحوم « مالكولم اكس » قبيل مقتله في اميركا بوقت قصير ، اذ وصف امكانياتنا المبعثرة غير المنسقة ، بكومة هائلة من الحجارة ومواد البناء ، يختلط بعضها ببعض على غير نظام ، في حين انه يمكن أن تتحول هذه المواد ، اذا هي استغلت ونسقت على الوجه الصحيح ، الى بنايات رائعة جميلة متناسقة .

وبودي أن أشير ها هنا الى دور يمكن ان يضطلع به الاساتذة العرب الذين يدرسون في عدد من الجامعات الاجنبية ، وهو دور تشتد الحاجة اليه في هذه المراكز الفكرية التي تحرص الصهيونية حرصا شديدا على التأثير فيها .

ورب حديث علمي هادىء ، او مقالة رصينة تنشر في مجلة جامعية ، يكون لهما من الاثر في أوساط الفكر الغربي ، ما لا يتوافر للعديد من المقالات الصحفية العادية . وقد شهدنا بالفعل نمطا من هذه المقالات في بعض المجلات الجامعية ، تناول فيها استاذ عربي يدرس في اميركا شيئا من أدب النكبة ، فعرضه عرضا مؤثرا بلغة انجليزية راقية ...

أيها الاخوة الكرام

أن الذين عاشوا منا في الغرب بصورة خاصة ، يرون كيف تتحرك الصهيونية على جميع الجبهات في آن واحد ، وكيف تستخدم منجزات العلم الحديث للترويج لنفسها . ومن المعلوم أن الاكذوبة التي تكرر وتسمع بانتظام واستمرار قد يحسبها الناس مع مرور الزمن حقيقة ، ما لم يوجد من يفندها ويشير الى مكان المغالطة فيها . وهنا يأتي دور الاديب العربي ، الذي يعمل في اطار التخطيط الجماعي المدروس . ففي وسع هيئة موحدة لادباء العرب أن توفد من أدباء الوطن العربي الى البلاد الاجنبية من تتوافر فيهم الدراية الدقيقة بالقضية الفلسطينية ، والمعرفة الوثيقة بالحركة الصهيونية واليهودية العالمية ، عدا عن الالمام بلغة البلد الذي يرسلون اليه .

ويستطيع هؤلاء الادباء الوافدون ، بالتعاون مع العناصر العربية واصدقاء العرب في البلد الاجنبي ، أن يشاركوا في المحاضرات والندوات والمؤتمرات الصحافية ، وأن يتحدثوا من وراء المذياع ومن شاشة التلفزيون ، فضلا عن مشاركتهم في المهرجانات الموسمية ، التي يقيمها الطلاب العرب في المدن الاوروبية والاميركية ، لعرض وجهة النظر العربية بشأن فلسطين .

وهذا النشاط الادبي العربي المقترح خارج ارض العرب ، لا بد أن يدعم كذلك بنشاط داخل الوطن العربي ، وقرب مسرح الاحداث ، عن طريق استقدام واستضافة الادباء الاجانب ، لكي يروا ويبصروا ثم يعبروا عما ابصروا . ومن هؤلاء من يجمع في شخصه التمكن من فن الكلمة ، والمقدرة على قول كلمة الحق . ولا ابالغ اذا قلت ، أن قلم الكاتب الاديب « ارسكن تشلدرز » على سبيل المثال ، أثقل على قلوب الصهاينة من كل ما يقوله العرب في انجلترا . ولقد استطاع هذا الكاتب بمنطقه الهادىء ، والمامه باطراف القضية الفلسطينية ، أن يعصف دائما بحجج الصهاينة حيثما لقيهم في حوار أو ندوة . والانجليزي الذي يسمع ابنة وطنه « ايل مانن » ، تتحدث اليه بلغة الادباء المؤثرة عن مشاهداتها في مخيمات اللاجئين ، يدرك انه يستمع الى حقائق مجردة ، ترويها كاتبة من بني جلدته ، لا الى دعاية يبثها احد أطراف القضية .

وينبغي ألا يفوتنا نحن معشر المعنيين بفن الكلمة ، أن عالمنا الحديث قد تنوعت فيه سبل توصيل الكلمة الى اسماع الناس وآذانهم ، وان خصومنا يستغلون ذلك على اوسع نطاق ، اذ هم يستغلون الادب في شتى مساربه ، من مقالة او قصة او تمثيلية او حوار سينمائي ، لينفذ الى الناس في كل شكل من اشكال النشر ـ عن طريق الصحيفة والكتاب والمذياع والتلفزيون والسينما ، واي شكل اخر في مكنة الانسان الحديث .

وقد يكون من الصعب على الاديب العربي ان يجد المنافذ التي يتيسر للاديب الصهيوني أن ينفذ منها في المجتمعات الغربية . الا ان جهدا ينسق على غرار التنسيق الصهيوني ، ويستعان فيه بكل العناصر المؤازرة في البلد الاجنبي ، يمكن ان يزعزع ، ولو الى درجة ما ، الباطل الصهيوني . وان فلما تلفزيونيا او سينمائيا يشارك فيه كتاب العرب ، فيعرض ضمن ما يعرض على الغربيين اوجها من مظاهر الحضارة العربية ، يمكن ان يحمل الرد البالغ على تلك الفكرة الساذجة التي يتقبلها الكثيرون في الغرب ، والتي مؤداها أن معركة الصهيونية مع

غضب

لو كانت تروي من ظمأ كلمات الحب
لكتبناها في كل مكان
لو كان القلب المثقل بالاحزان
تغسله الالفاظ الخضراء
لاذبناها في الماء
وفرشنا الالسن في التيار
لكن الجرح الظمآن الغاضب
يهزأ بالثرثرة الجوفاء
يحتقر الالفاظ العذبه
... ولان طريق العودة صعبه
فالجرح الغاضب لا يحلم ...
لا تفتنه الكلمات
الجرح الغاضب لا يتلو صلوات الجوع
يقتات رماد الارض
اعطوني غضبا اعطيكم ارضا خصبه
اعطوني الفاظا عذبه
اكذب كذبه
انفش ريشي ، اتلوّن كالحرباء
واقول لكم : مات الاعداء
لما انغلقت ابواب المغفرة الخشبيه
فتشنا في الارض العربيه
... عن جذوة نار
ووجدناها فحملناها فوق الاسوار
قالت لو كان الربّ
يبعث في الارض نبيا سماه غضب
فلتعزف موسيقى البارود نشيد الظافر
والدم يغسل احزان القلب الثائر
لو كانت تروي من ظمأ كلمات الحب
لحمدنا الرب
ان اعطانا السنة أطول من تاريخ الصمت

السلط (الاردن)

خلدون الصبيحي

العرب ، هي معركة الانسان المتحضر مع الانسان البدائي ، شانها في ذلك شأن معركة المعمر الاميركي مع الهندي الاحمر !

ايها الاخوة

لقد طالما سمعت من الاوروبيين ، من المؤمنين بنا وبحضارتنا ، ان ما يكتب عن شؤوننا ، يكتب كله او معظمه باللغة العربية ، وهي ـ مع الاسف ـ ليست في الوقت الحاضر لغة عالمية ، يعرفها الناس خارج المحيط العربي ، في حين ان الادب الصهيوني يكتب بكل اللغات العالمية . ولعل ذلك ينبهنا الى واجب الاديب العربي في عدد من المجالات يمكن اجمالها فيما يلي :

أ ـ ضرورة الكتابة عن القضية الفلسطينية باللغات العالمية ، ولعل ذلك ليس بالصعوبة التي نتصورها اذا ما استنفدت طاقة الادباء العرب في نطاق الوطن العربي الكبير ، لا في بلد عربي واحد .

ب ـ ضرورة الترجمة من اللغة العربية واليها ، بحيث تتناول هذه الترجمة كل ما هو جدير بأن يعرفه العرب عن القضية الفلسطينية في المجال العالمي ، وكل ما يجب أن ينقله العرب الى القارىء العربي حول هذه القضية . والترجمة المقصودة ، يجب الا تقتصر على الصحيفة والكتاب ، بل يجب ان تتعداهما الى الفلم التلفزيوني والسينمائي كذلك . وحبذا لو قام شكل من اشكال المشاركة ما بين العرب وغير العرب ، في انتاج افلام اجنبية تتناول اطرافا من القضية .

ج ـ تنسيق الجهود مع المنظمات الطلابية في الخارج ، بحيث تزود هذه المنظمات بالنتاج العربي في الوطن الام ، لتتصرف باشاعته ونشره بلغة البلد المعني . وقد يكون من الامور العملية النافعة ، ان يكون لكل اتحاد طلابي في بلد اجنبي مجلة تحمل اسم فلسطين ، وتصدر بلغة البلد الاجنبي ، حيث يساهم فيها الطلاب والادباء العرب ومن يتجاوبون مع القضية العربية من غير العرب .

د ـ ترجمة ادب النكبة والمقاومة واشاعته بكل وسائل النشر الحديثة كي يعرض على العالم صورة سوداء للظلم الصهيوني من ناحية، وصورة مشرقة للفدائي العربي من ناحية اخرى ، نقدمه للعالم بطلا من ابطال الحرية لا قاتلا مخربا كما تصوره الدعاية الصهيونية .

هـ ـ الاتصال بأدباء المهجر العربي كي يساهم كل منهم بلغة البلد الذي يعيش فيه ، بنتاج ادبي هادف ، مع مد هؤلاء الادباء في المهجر بأية معلومات تساعدهم على الاضطلاع بمهمتهم .

ايها الاخوة

لقد تعرض اخوتنا العرب في الخارج ، وفي اوروبا واميركا بصورة خاصة ، لهزة عنيفة بعد الخامس من حزيران ، وشهدوا من اشكال الاذلال النفسي الشيء الكثير . افلا يجب علينا نحن حملة الاقلام في الوطن العربي الام ، ان نحيي في نفوس هؤلاء الاخوة ما مات من امل وعزيمة ، وان نعيد اليهم الثقة بانفسهم وأمتهم ، او نحاول ذلك على الاقل ؟ انني لادرك كما تدركون ، ان اثر النكسة العسكرية لا يزيله الا انتفاضة عسكرية . ولكننا معشر المنتمين الى صناعة الكلمة يمكن ان نساهم بدور كذلك في عملية الانعاش النفسي هذه ، خاصة وان الانسان العربي عبر العصور ، ما فتىء انسانا حساسا للكلمة .

اقول ذلك ، وفي ذهني فكرة نشيد موحد لفلسطين ، فيه ثقة وفيه قوة ، وفيه قسم عظيم مؤثر ، على ان يستخلص العربي فلسطين مهما غلا الثمن ، على ان يعمم هذا النشيد الموحد على العرب حيثما وجدوا ، ومنهم المقيمون خارج الوطن العربي ، حتى يتناشدوه في كل تجمع لهم ، ولكي يتناشده أبناؤهم في أرض الغربة ، لتبقى صورة فلسطين حية ماثلة في ذهن العربي وأبنائه ، وحتى لا تصبح هذه الصورة باهتة بسبب بعد في المكان او ايغال في الزمان . ولنذكر جميعا اننا اولى بتذكر القدس ، من الصهيوني الآثم الذي ردد طيلة قرون : « شلت يميني ان نسيتك يا اورشليم » !

وليسمح لي الاخوة الكرام في النهاية بجنوح عاطفي ، اذ استعيد الى الذهن صورة تلك الصحافية الهولندية ، المسز « ليلى ولتشر » التي أولت القضية الفلسطينية اهتماما خاصا في نشاطها الصحافي والادبي ـ استعيد صورتها وقد قدمت الى بنغازي عام ١٩٥٥ ، وحاضرت في احد نواديها عن القضية الفلسطينية ، وفي عشية سفرها عائدة الى بلادها ، اجتمعت مع عدد من ابناء فلسطين ، كان كاتب هذه السطور واحدا منهم ، لتأخذ عليهم عهدا بألا ينسوا فلسطين . اجل صحافية اجنبية من هولندا ، تأخذ على ابناء فلسطين عهدا بألا ينسوا بلدهم ـ فلسطين ـ !

هل نحن بحاجة اذن ، الى ان نأخذ على انفسنا ، نحن معشر حملة الاقلام ، عهدا بالا ننسى فلسطين ، قلب العروبة وارض المقدسات، ومسرى النبي العربي ، واول قبلة اتجه اليها الانسان المسلم في صلاته؟

محمود ابراهيم